

لماذا أصبح الاتحاد الأوروبي "عدواً" لأمريكا

التاريخ يولد من جديد

(مترجم)

الخبر:

في الرابع عشر من تموز/يوليو، طلب جيف جلور خلال أخبار المساء على محطة CBS من الرئيس الأمريكي ترامب تسمية "أكبر عدو له على مستوى العالم في الوقت الحالي". فاجأ رد ترامب الكثيرين: "حسناً، أعتقد أن لدينا الكثير من الأعداء. أعتقد أن الاتحاد الأوروبي عدو، وما يفعلونه بنا في التجارة. والآن، لن تفكروا في الاتحاد الأوروبي، لكنهم عدو، روسيا عدو في بعض النواحي، والصين عدو اقتصادي، وبالتأكيد هي عدوة، لكن هذا لا يعني أنها سيئة، وهذا لا يعني أي شيء، بل يعني أنها تنافسية".

التعليق:

قام ترامب بتسمية الاتحاد الأوروبي أولاً في قائمة أعدائه، ثم روسيا، التي يرأسها الرئيس فلاديمير بوتين، على قائمة ترامب لزعماء العالم للاجتماع بعد أن التقى تريزا ماي وقبل ذلك حلفاء الناتو في قمة حلف الناتو التي عقدت في الحادي عشر والثاني عشر من تموز/يوليو. كان سلوك ترامب مع الحلفاء الأوروبيين في بروكسل عدائياً؛ لقد أهان المستشار الألمانية بإشارة بإصبعه في وجهها داعياً إياها باسمها الأول: "أنت يا أنجيلا..."، مما أدى إلى اجتماع طارئ مغلق حيث اقترح أن أمريكا قد تنسحب من حلف شمال الأطلسي. في بريطانيا، قوّض مضيفته، رئيسة الوزراء تيريزا ماي، من خلال إجراء مقابلة مع صحيفة صن انتقد فيها ضعفها في مفاوضات خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، وأتت على بوريس جونسون، الذي استقال لتوه من حكومة تريزا ماي احتجاجاً على طريقة تعاملها مع مفاوضات بريكسيت. وبالطبع، مع الحرب التجارية المستمرة التي بدأها ترامب مع الاتحاد الأوروبي، فإن فكرة اعتبار الاتحاد الأوروبي عدواً لأمريكا يجب ألا تكون مفاجأة.

أضافت تريزا ماي لنفسها ضوءاً جديداً على عداء ترامب تجاه الاتحاد الأوروبي عندما كشفت، في اليوم التالي لمقابلته مع شبكة سي بي إس، أنه أخبرها أنه يجب عليها "مقاضاة الاتحاد الأوروبي" بدلاً من التفاوض على بريكسيت. سعى ترامب بنشاط لإضعاف قادة الاتحاد الأوروبي وتشجيعهم على الانفصال عن الاتحاد الأوروبي. بعد أن قال، في مقابلته مع صحيفة صن، إن م اي "قتلت" فرصاً لصفقة تجارية ثنائية بين أمريكا وبريطانيا بموافقتها على المحافظة على بعض العلاقات التجارية مع الاتحاد الأوروبي بعد بريكسيت، وعرض لاحقاً صفقة مغرية وصفها بأنها لا تزال ممكنة. كما استقطب ترامب المستشار الألماني بعرض خاص لتخفيض الرسوم الجمركية على السيارات الألمانية في حالة التوصل إلى اتفاق منفصل. كما تم تقديم عروض مماثلة للرئيس الفرنسي ماكرون ولزعماء أوروبيين آخرين.

إن اعتبار الاتحاد الأوروبي عدواً لأمريكا، ببساطة، بلغة غير حادة على نحو غير عادي، ما كان يخشاه قادة الاتحاد الأوروبي أنفسهم. ومع ذلك، ذكر دونالد توسك، رئيس المجلس الأوروبي رداً على تعليقات ترامب: "إن أمريكا والاتحاد الأوروبي هما أفضل الأصدقاء. كل من يقول إننا أعداء ينشر أخباراً مزيفة".

على الرغم من محاولات البحث عن الشقوق الآن، كان رئيس المجلس الأوروبي أكثر صراحة في الماضي. قبل يوم من بدء قمة الناتو، أصدر تحدياً للإدارة الأمريكية الحالية، بعد التفاوض على مزيد من الاتحاد الأوروبي للوصول إلى موارد وأنظمة الناتو والتحكم في أوروبا، فقال: "عزيزتي أمريكا، أقدر حلفاءكم، بعد كل ما تبغضونه". في أيار/مايو، في قمة الاتحاد الأوروبي في بلغاريا كان أكثر صراحة: "نحن نشهد اليوم ظاهرة جديدة: الحزم المتقلبة للإدارة الأمريكية. بالنظر إلى القرارات الأخيرة للرئيس ترامب، يمكن أن يفكر البعض، "مع أصدقاء من هذا القبيل، من الذي يحتاج إلى الأعداء؟" بينما تحاول هذه الكلمات القوية فصل أمريكا على أنها "شريك" طويل الأمد من الإدارة الأمريكية الحالية، يدرك القادة ببطء أن الأمور تتغير وأن العلاقة بين ضفتي الأطلسي آخذة في التغير. قال رئيس المجلس الأوروبي: "بصراحة، يجب أن تكون أوروبا شاكراً للرئيس ترامب، لأننا بفضل تخلصنا من الأوهام القديمة. لقد جعلنا ندرك أنه إذا كنت بحاجة إلى يد مساعدة، فستجد واحدة في نهاية ذراعك... يجب على أوروبا أن تفعل كل ما في وسعها لحماية - على الرغم من مزاج اليوم - الرابطة عبر الأطلسي. ولكن في الوقت نفسه يجب أن نكون مستعدين لتلك السيناريوهات التي يجب أن نتصرف فيها بمفردنا". وفي هذا الخطاب، يتم الاعتراف بإمكانية أن نكون وحيداً، وهو ينطوي على التحدي والتأمل المحزن على حد سواء أن تصبح يتيماً في هذا العالم القاسي. وقد ردد وزير الخارجية الألماني هيكو ماس هذه المشاعر رداً على زعم ترامب بأن الاتحاد الأوروبي كان عدواً بقوله: "لم يعد بإمكاننا الاعتماد كلياً على البيت الأبيض... للحفاظ على شراكتنا مع الولايات المتحدة، علينا أن نعدّلها. النتيجة الأولى الواضحة لا يمكن أن تكون إلا أننا نحتاج إلى التوفيق أكثر في أوروبا".

هذا الأسبوع الأخير في السياسة، يغلّق مع رئيس أمريكا المخبّث مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في هلسنكي، بينما يطارد مجتمع الاستخبارات الخاص به جواسيس روسيين متهمين بتخريب الديمقراطية الأمريكية، وبعد سلسلة متواصلة من الهجمات على الحلفاء المفترضين ليست ظاهرة مؤقتة ستزول عندما يفعل ترامب. العالم قد تغير. لقد أوضحت أحدث استراتيجية للدفاع الوطني الأمريكي: "إننا نواجه فوضى عالمية، نتصف بانحدار في النظام الدولي القائم منذ فترة طويلة على القواعد". إن الإدارة الأمريكية تتبنى الآن دويماً، ما اعترفت به إدارة أوباما بالحنين: أن أمريكا لم تعد تتحمل مسؤولية دعم "القيم الليبرالية" في العالم، والآن يناضل الحلفاء السابقون لفهم أن هناك ميزانية جديدة في عالم من المنافسين، القوى الكبرى. ربما يتم استهداف الاتحاد الأوروبي باعتباره المعقل الأخير للنظام الدولي القديم، الذي تنكره الولايات المتحدة الآن على الرغم من أنه هو الذي أرسى النظام السابق. مع انسحاب أمريكا من قيادة النظام القديم، فإنها لا تريد قوة أخرى لملء أحذيتها. تقبل أمريكا التعامل مع الصين وروسيا كدولتين عظميين، ولكن ليس الاتحاد الأوروبي، لأن الاتحاد الأوروبي يهدد بأخذ مكان أمريكا. كان السؤال الحقيقي الذي كان من المفترض أن يسأله مذيع CBS ترامب هو - من هو أكبر صديق لأمريكا، والذي لن يكون "أحد" هو الجواب الصادق عليه؛ وكرر حديث اللورد بالمرستون في عام 1848: "ليس لدينا حلفاء أبديون وليس لدينا أعداء دائمون. إن مصالحنا أبدية ودائمة، وهذه المصالح واجبنا أن نتبعها". اليوم، "التاريخ" قد ولد من جديد، و"الرجل الأخير" قد استقال.

كتبه لإذاعة المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

د. عبد الله روبين